

بيان سماحة آية الله الجوادى الآملى بمناسبة ذكرى صدر المتألهين

اعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمد لله رب العالمين و صلى الله على جميع الأنبياء و المرسلين و الأئمة الهداة المهديين و لا سيما خاتم الأنبياء و خاتم الأوصياء (عليها آلاف التحية و الشناء)، بهم نتولّى و من أعدائهم نتبرء إلى الله».

قدومكم أنتم أيها المثقفون و يا اهل النخبة و يا طلاب الحوزة و الجامعة مكرّم عندنا، أعمال و عبادات جميعكم في هذا الشهر ألمان بركة إن شاء الله سبحانه و تعالى مقبولتان عند الذات القدسى الإلهية.

قبل الورود في الإبلاغ تصل نكتة واحدة و مطلب واحد حول الضيافة الإلهية إلى سمعكم و هي: أن الله سبحانه و تعالى في زمان الشهر المبارك شهر الصيام: شهر رمضان يضيف عباده و في أرض الوحي يضيف الحجّاج و المعتمرين و لكن قال سبحانه و تعالى أنتم معشر ضيوف الرحمن في هذا الزمان أو في تلك الأرض تستطيعون أن تكونوا مضيفين لى، أنا الله ضيف جيد و أيضاً مضيف جيد، إذا أنتم ضيوفى فإننى أستطيع أن أكون ضيفاً لكم و أنتم تقدرون أن تكونوا مضيفين لى «أَنَا عِنْدَ الْمُكْسِرَةِ قُلُوبُهُمْ»^١ إذا احترمنا الضيافة في تلك الأرض و في هذا الزمان المبارك و دخلنا مقرّ العبد الصالح نجد قلباً منكسراً، و إذا كان عند أحدٍ قلب منكسر كان مضيفاً له سبحانه و تعالى، و الله سبحانه و تعالى ضيف لقلب منكسر، «أَنَا عِنْدَ الْمُكْسِرَةِ قُلُوبُهُمْ».

١. منية المرید، ص ١٢٣؛ بحار الأنوار (ط - بيروت)، ج ٧٠، ص ١٥٧؛ «وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ كُلَّ قَلْبٍ حَزِينٍ وَ سَأَلَ أَيْنَ اللَّهُ؟ فَقَالَ: عِنْدَ الْمُكْسِرَةِ قُلُوبُهُمْ».

في جريان هذا الفيروس المنحوس (كرونا) القلوب الكثيرة من الناس إنكسرت، ونحن راجون من الله سبحانه و تعالى أن يتقبّل ضيافة هذه القلوب المنكسرة و هذه الأدعية الخالصة لهذه الأيام المباركة (شهر رمضان) و أن يزيح الله سبحانه و تعالى و يبید و يعدم بأحسن وجهٍ هذا المرض من فوق هذه الأرض التي هي مسكن البشر و أن يوفّق الله سبحانه و تعالى العلماء و الأعزّاء من علم الطبّ في كشف هذا الدواء، و ببركة هذا النظام الإسلامي تنجو الجامعة البشرية مع الدواء المنكشف ببركة النظام الإسلامي.

أمّا حول المرحوم صدر المتألّهين فأنتم مستحضرون أنّ المرحوم صدر المتألّهين مع غضّ النظر من تلك البحوث العقلية التي هي موجودة في كتاب الأسفار و سائر المخطوطات و المكتوبات، شرح المرحوم كتاب - أصول كافي - للمرحوم الشيخ الكليني، النقطة المهمّة في إنتخاب شرح أصول الكافي هي أنّ المرحوم الكليني في الخطبة المملوءة ببركة التي طبعت في المجلّد الأوّل من أصول الكافي التي شرح هذه الخطبة شرحاً كاملاً المرحوم مير داماد في كتاب (الرواشح السماوية)^١ آخر سطر من هذه الخطبة هذه «إِذْ كَانَ الْعَقْلُ هُوَ الْقُطْبُ الَّذِي عَلَيْهِ الْمُدَارُ وَ بِهِ يُخْتَجُّ وَ لَهُ الثَّوَابُ وَ عَلَيْهِ الْعِقَابُ»^٢؛ يعني: أنّ قطب ثقافة الإسلام العقل. قطب التعلّم و قطب التعليم و عالمية الإسلام هو: العقل، إذ علّمنا في زيارة الجامعة الكبيرة الأئمّة المعصومون عليهم السلام، أمر ذلك الوجود المبارك حضرة الإمام الهادي عليه السلام: لما وصلتكم إلى مراقد الأئمّة عليهم السلام بعد عرض الحوائج العامّة في تلك المراقد، عرضوا عليهم: «أنيّ ... مُحَقِّقٌ لِمَا حَقَّقْتُمْ مُبْطِلٌ لِمَا أَبْطَلْتُمْ»^٣ إنيّ على الحقّ معكم أتكلّم و إنيّ مثبت كل كلام باطل معكم و أقرّره و لا أقبله،

١. الرواشح السماوية في شرح الأحاديث الإمامية (مير داماد)، ص ٣٩.

٢. الكافي (ط - الإسلامية)، ج ١، ص ٩.

٣. من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٦١٤.

و هذه الجملة ما تعلّمها الأفراد العاديون و لم يجمعوها، نعم هذه الجملة تعلّمها الخاصّون من تلامذة الأئمة عليهم السلام، مثل الكيني الذي يقول: قطب الثقافة للملّة و الجماعة عقل تلك الملّة و الجماعة، و المرحوم صدر المتألّهين فتح هذا المطلب.

لو أسر المحور و القطب و كان في أسرٍ و غُلِّ لم يذق تلك الملّة و الجماعة طعم الحرّية و لم يغمض تلك المملكة من فيض و فوز و نجاح الحرية عينها. المرحوم الكليني قال: قطب الثقافة للجماعة و الملّة هو عقل تلك الملّة «إِذْ كَانَ الْعَقْلُ هُوَ الْقُطْبَ الَّذِي عَلَيْهِ الْمُدَارُ وَ بِهِ يَحْتَجُّ وَ لَهُ الثَّوَابُ وَ عَلَيْهِ الْعِقَابُ»، المرحوم صدر المتألّهين من جهة جعل قطبية العقل و العلم بواسطة السعى و الإجتهد و من جهة ثانية قبول النفي من بلد و تبعيده إلى مكان آخر و من جهة ثالثة تحمّل المنافيات و عدم الملائمات للفرد من الصديق و اهل المعرفة، فتح يد العلم و رجله، و بالتأكيد فتح يد العلم و رجله. معنى حرّية اليد و الرجل للعقل و العلم هو: أنّ بعض الناس جعل العلم في دائرة الماهية، تلك الماهية العرضية، بالمتعارف و بالعادة يعتقدون أنّ العلم جزء مقولة «الكيف»، و يعتقد بعض آخر أنّ العلم من مقولة «المضاف» ذات إضافة، مثل الفخر الرازي، و الآخرون جعلوا العلم صاحب ماهية. الأوّل ليس للعلم طريق في دائرة الجوهر و جعلوا العلم في حدّ العرض، و الثانی أنّ الأعراض التسعة بعضها ضعيف و بعض آخر أضعف من بعض، و جعلوا العلم في العرض الأضعف باسم الإضافة أو كيفية ذات إضافة، و مثل ذلك من العبارات، و جعلوا العلم في قيد الماهية من جهة، و من جهة أُخرى لما أرادوا أن يتكلّموا حول العلم أظهره في لباس الوجود الذهني، تكلمهم علمي و لكن تفكّرهم وجود ذهني، كم فرق بين العلم و بين الوجود الذهني، الفرق بين العلم و الوجود الذهني هو الفرق بين السماء و الأرض! الوجود الذهني هو وجود ذهني، و العلم وجود خارجي، و لكن موطن العلم هو النفس، صفة

القدرة لها وجود خارجي و موطنها النفس، صفة العدل لها وجود خارجي و موطنها النفس، و العلم ليس من سنخ القدرة و العدل، بل العلم من سنخ الثقافة و له وجود خارجي و لكن مسكنه النفس، و كم فرق بين الوجود الذهني و الوجود العلمي!

و إذا أرادوا أن يعرفوا العلم يقولون: «العلم هو صورة الحاصلة من الشيء لدى العقل»، إن هذا المعلوم ليس بعلم و وجود ذلك وجود ذهني لا هذا الوجود، وجود علمٍ و ليس ذلك المعلوم، المعلوم علم و نحن عندنا علم بتلك الصورة، علمنا ما هو؟ ليس علمنا هذه الصورة، هذه الصورة معلومنا و وجود هذه الصورة ليس بعلم، هذا وجود ذهني، في أثر عدم نيل المحققين و في أثر عدم وجود قسم الفلسفة و العقل هذان الأمران ربطا و شدا يد و جناح العلم، الأول أنهم اعتقدوا أن العلم من سنخ الماهية و حصروه في زمرة الأعراض، و الثاني أنهم إذا أرادوا أن يتكلموا عن العلم تكلموا علمياً و لكن تفكروا بالوجود الذهني، الكلام كلام العلم و لكن يتكلمون عن الوجود الذهني. إذا قالوا العلم ما هو؟ يقولون في الجواب: «الصورة الحاصلة من الشيء لدى العقل» و هذا المطلب معلوم و محرز أن الشيء المعلوم له وجود و ذلك الوجود وجود ذهني.

بناءً على هذا في أثر الغفلة من بعض المعروفين صار العلم مغلولاً و مقيداً، هذا من جهة، و من جهة أخرى في جريان اليوم الحاضر جعلوا العلم مغلولاً و مقيداً بقيد آخر، يعتقدون أن العلم إنما هو لرفع حاجات المعيشة و الحياة و يقولون: لا عمل لنا بالواقع، نحن نريد أن ينحلّ مشكلتنا بهذا العلم و نحن ليسوا بصدد كشف الحقيقة، نحن نريد أن ينحلّ مشكلتنا بواسطة الرحلات الجوية و الرحلات البحرية و الرحلات البرية الصحراوية، هندسة الأبنية التي

لنا تنحلّ، مسألة الزراعة التي لنا تنحلّ، نحن نعتقد أنّ العلم وسيلة و أداة و آلة لرفع الحاجات البشرية، و أمّا العلم بأى مقدار يكشف عن الواقع أو لا يكشف؟ و هل في دائرة حسننا نقدر على تحصيل الجزم أو في حدّ الظن و الحسبان؟ يقولون: لا يحصل لدينا مشكلة، نحن نحلّ عملنا و مشكلتنا بهذا العلم.

بنائاً على هذا في سالف الزمان قيدوا و ربطوا العلم أوجهتين، في الجريان الحاضر جعلوا العلم في هذا البحث، إذا كان العلم لجهة رفع المشكلات في الوقت إذا مات الإنسان ليس عنده حينئذ مشكلة، ليس له عمل، ليس له زراعة، ليس له رعى و ماشية، ليس له صنعة و حرفة، لا حاجة إلى العلم في ذلك الوقت هذا الموجود الأبدى موجود صفر اليد. نحن لا بدّ من أن نفكر أكثر من هذا حول حريمتنا و دائرتنا، و هو أنّنا لنا وجود أبدى، الموجود الأبدى ليس له سنة و لا شهر، الموجود الأبدى يخرج من الجلد و لا يبلى، الموت هو خروج من الجلد و ليس يبلى، فعلى هذا الأساس نقول: إنّ الذي دخل السجن بأيدي الأقرباء دون الغرباء أو الذي صار أسيراً كان محتاجاً إلى إطلاقه و حرّيته، هذا العلم الذي غلّ و قيد بيد الغربى أو غير الغربى و يقول الشخص: نحن نريد العلم لجهة رفع الحاجات لا لجهة كشف الواقع و الحقيقة، معناه أنّ هذا الشخص من جهة قيد و ربط العلم.

كثير من العلماء و المتكلمين و الحكماء سعوا و اجتهدوا أن يكون القسم الثانى له علم و له واقعية، الأوّل يبين الواقعية، و الثانى أنّه موجود مجرّد، و الثالث أنّه معنا إلى الأبد، و الرابع أنّنا إلى الأبد نعيش مع العلم، و الخامس أن هذا العمل فعله الآخرون، و لكن صدر المتألهين سعى أكثر من الآخرين لجهة إطلاق و تحرير العلم في هذا القسم الثانى.

أمّا ذان العملان القويان اللذان عملهما المرحوم صدر المتألّهين فهو أنّ المرحوم أخرج العلم من دائرة الأعراض التسعة، وإضافة على ذلك أنّه أطلق وحرّر العلم من عنوان الماهية، وأذعن المرحوم أنّ العلم نحو وجود، وحيث كان العلم نحو وجود لم يكن العلم من سنخ الماهية، وحيث لم يكن العلم من سنخ الماهية فهو ليس بجوهر و لا عرض، وإذا لم يكن العلم من سنخ الجوهر والعرض لم يمكن العلم الحصولي بذلك العلم، إذا لا بدّ من إلفاء الوجود الخارجى، لا بدّ من الحضور عنده و يصير عالماً، وإلا فهذه الحروف (عين) و (لام) و (ميم) ليست بماهيات، فهي ليست بجوهر و لا عرض، و عملوا هذا في بحث العلم بأنّ العلم سنخ وجود و مقول بالتشكيك و ليس من سنخ الماهية، و عملوا ذلك الإبتكار العميق حيث فصلوا العلم من حد الوجود الذهني، و اعتقدوا أنّ العلم وجود، هذا (عين و لام و ميم) لفظ له مفهوم و هذا المفهوم له مصداق و ذلك المصداق موجود في النفس لا في الذهن، و ليس للعلم إرتباط بأى نحو من الأنحاء بالوجود الذهني، حذار حذار ان يتكلّم احد علمياً و يفكّر وجوداً ذهنياً.

المرحوم صدر المتألّهين أظهر العلم بهذه الصورة فهو أخرج العلم من بئر الماهية المظلمة و وقف أمام هذا الإشتباه، و قال أيضاً: إنّ العلم جوّال و متحرّك و العالم متحرّك بهذه الحركة، الرجل النائم في القافلة العلمية في السّيارة العلمية، في الطائرة العلمية، في القطار العلمي في حال السير و الحركة، قيل له: أنت أيها النائم في الحركة مهّد لهذه الحركة الجوهرية في العلم و في الرجل العالم مكاناً، و قال هذه الأمور و هذه الأشياء متحرّكات و متحوّلات حتى تصل إلى ذروتها و نهايتها و هناك تستريح. محلّ الإستراحة ليس بقبر، المدفن ليس بمكان للأموات، محلّ الإستراحة ذلك المكان الذي يصل الإنسان إلى الثبات لا إلى السكون و الهدوء، الإنسان الذي يسكن و يهدأ ليس بحى و الإنسان الذي يثبت حى، المرحوم صدر المتألّهين اخترع هذا و قال: إنّ هذه الحركة الجوهرية ليست بألة العمل، أنتم

سواء كنتم تريدون أم لا تريدون في الحركة، و لكن إسعوا و إجتهدوا أن تدركوا جيداً الصراط المستقيم الذي هو عمل الشارع، و اعلموا أنّ العقل سراج و مصباح و ليس بصراط، الصراط فقط يأتي من ناحية الشرع و لا غير، المهندس فقط من ناحية الشرع و لا غير، و الشرع عنده هندسة، عنده صراط، عنده طريق، عنده عقل و سراج، عنده مصباح، عنده طريق المعرفة، و عنده الخير بالطرقات. هذه الأمور العظيمة فعلها صدر المتأهلين.

في الأمس الدابر كان له جيران قليلو المحبة و قضى عيشه و حياته في الغربة، و كان عنده تلامذة قليلو المحبة به و هؤلاء التلامذة لم يفتحوا كلامه و كان له أصدقاء قليلو المحبة به، كلام المرحوم صدر المتأهلين تقريباً لمدة أربعة قرون كان مستوراً. نعم! في هذه الأوساط جاء حكماء عظام، و لكن كان بعضهم مخالفاً للمرحوم و بعضهم موافقاً له في حدّ التقية، بعض كان موافقاً في حدّ شرح قصير لكلماته، و أمّا الذي كان وارثاً لصدر المتأهلين و قديراً على هذه الأعمال الأساسية و الابتكارات التي جاء بها المرحوم الذي أخرج العلم من ظلمة بئر الماهية و الذي أخرج العلم من ظلمة بئر العرض و الذي أخرج العلم من ظلمة بئر الوجود الذهني و الذي أخرج العلم من السكون و الهدوء إلى الحركة فلم يتحقق هذا الوارث، و هذا الابتكارات العظيمة فعلها نفس المرحوم صدر المتأهلين لا غيره.

المرحوم حرّك الجامعة في ذلك الوقت، حوّل الجامعة، و كلمات المرحوم لهذا اليوم أيضاً نافعة، و هي أنّ العلم موجود مجرّد و نحن نستفيد كثيراً من هذه الكلمات، الواحدة من تلك الكلمات هذه المشكلات التي في دنيانا و إلا فالقسم المهمّ من النفع الذي نأخذه من العلم هو بعد الموت، نحن الموجودون و علمنا و ازليتنا و ابديتنا و سرمديتنا

العائشون مع العلم، و من هذه الجهة قال الإسلام «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ»^١ و أنتم مستحضرون أن حرف «التاء» في كلمة «فريضة» تاء المبالغة، مثل تاء طاغية و راوية و علامة، و إلا كان المبتدأ مذكراً و الخبر مؤنثاً و هو لا يجوز.

الإسلام أكد على أن الإنسان مادام يتنفس لابد من أن يكون عالماً و معنى العلم هو هذا، ببركة النظام الإسلامى و ببركة الدماء الطاهرة من الشهداء كثير من المسائل حلت. أنتم العظماء تكونون من اهل فارس و شيراز، أنتم قبل الآخرين مسئولون، طلاب حوزة علمية شيراز و كذلك طلاب جامعة شيراز عموماً و تلك المنطقة الخاصة التي تخصكم خصوصاً و ارثون لهذه الدقة، و ارثون لهذه الحكمة، و ارثون لهذه المعرفة، و ارثون لهذا التراث النفيس العظيم، الذي عبّر المرحوم الكلينى عن هذا العقل بـ «القطب الثقافى» لتلك الملة و الجامعة. و نحن راجون من الله سبحانه و تعالى ببركة هذا الشهر المبارك شهر رمضان أن يكون سعيكم و إجتهدكم أنتم السادة و النخب و المثقفون من الطلاب الحوزوية و الجامعية بنحو بحيث يكون القرآن و العترة الطاهرة بواسطة هذا القطب الثقافى العقلى و العلمى يوماً بعد يوم أن يفتح أكثر فأكثر حتى نقدر على فعلية و عملية الآيات التي تقول ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾^٢ و تحققها في الخارج.

الوجود المبارك النبى (عليه و على آله آلاف التحية و الثناء) قال: «الإِسْلَامُ يَعْلُو وَ لَا يَعْلَى عَلَيْهِ»^٣ و هذه الجملة خبرية و لكن قالها و ألقاها بداعى الإنشاء و الإيجاد و إلا فالإسلام بنفسه و وحده لا يعلو و لازم على المثقفين الحوزويين و النخب الجامعية أن يحترموا هذا القطب الثقافى الكلينى بمعنى أن يحترموا هذا العقل و من حيث العلم

١. الكافي (ط - الإسلامية)، ج ١، ص ٣٠.

٢. سورة توبه، آيه ٣٣؛ سورة فتح، آيه ٢٨؛ سورة صف، آيه ٩.

٣. من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٣٣٤.

و العقل يتشرفون إلى مرافد الأئمة المعصومين عليهم السلام عاقلين عالمين و في أثناء الزيارة يعرضون على الأئمة عليهم السلام بأننا جئنا إلى زيارتكم بعنوان محقق لعرض الإرادة عليكم و المحبة «أني ... مُحَقِّقٌ لِمَا حَقَّقْتُمْ مُبْطِلٌ لِمَا أَبْطَلْتُمْ ... مُحْتَمِلٌ لِعِلْمِكُمْ»، و نحن راجون من الذات المقدسة الإلهية أن يحفظ و يحرس نظامنا و قائدنا و مراجعنا و دولتنا و شعبنا و مملكتنا، حوزتنا و جامعتنا و أن يحفظ فرداً فرداً من هذه الملة النفيسة الغالية و المثقفة و أن يحفظ جميعنا في ظل القرآن و العترة، أرواح الماضين مثل العلامة الطباطبائي و صدر المتألهين و جميع الحكماء و جميع الفقهاء و جميع الشجعاء، نرجو أن يكونوا مشمولين للأدعية الخاصة للذات المقدسة الإلهية و الأنبياء و الأولياء الإلهية، فيض الله و رحمته و فوزه تشمل أولئك المذكورين و يحشر شهدائنا مع شهداء كربلاء، الشهداء الأخيرون أيضاً يكونون مورد عناية الذات المقدسة الإلهية و هذه المملكة التي هي مملكة الإمام ولي العصر عليه السلام تكون محفوظة حتى ظهور ذلك البدر النوراني محفوظة من كل آفة و نكبة، و أنتم العظماء من الحوزة و الجامعة تكونون مشمولين لعناية خاصة ولي العصر (أرواحناه فداه).

«غفر الله لنا و لكم و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته»